جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

أخلاق الرعاية بين المعيارية والواقعية

The Care Ethics between Normativity and Realism

د/ بن حديد عارف[1]
benhadid.aref@ensc.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/27 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 27/01/2025 published: 01/06/2025

ملخص المقال:

تُعدّ أخلاق الرّعاية تيارا فلسفيا أخلاقيا برز في أواخر القرن العشرين، وقد نشأ في سياق الفلسفة النسوية، غير أنه ما لبث أن تجاوز هذا الإطار ليمتدّ إلى مجالات اجتماعية وسياسية أوسع، تنطلق أخلاق الرّعاية من مركزية العلاقة الإنسانية، حيث تُولي اهتماما بالغا بمفهوم الترابط بين الأفراد، وتسعى إلى تعزيز هذه الروابط وصيانتها من خلال مراعاة السياقات الاجتماعية، ودعم خير كلّ من مقدّمي الرّعاية ومتلقّيها ضمن شبكة العلاقات الإنسانية، غالبا ما تُقدّم الرّعاية لا بوصفها نظرية أخلاقية قائمة بذاتها، بل كممارسة أو فضيلة أو قيمة أو استعداد، تنطوي على الاستجابة للاحتياجات الإنسانية، ورعاية الذات والآخر، وتتميّز أخلاق الرّعاية عن النظريات الأخلاقية التقليدية، إذ لا تستند إلى مبادئ عقلانية مجرّدة، بل ترتكز على البُعد العملي والوجداني للعلاقات، وبذلك تجاوز الخلفية النسوية لجعلها أخلاقا كونية، ولتبيين ذلك لابد من تحديد مفهوم هذه الأخلاق ونشأتها التاريخية وتحليل ثنائية الممارسة والقيمة التي تتأسس عليها.

كلمات مفتاحية: أخلاق الرعاية، النسوية، المعيارية، الواقعية.

Abstract:

Care ethics is a philosophical approach that emerged from feminist thought, focusing on interpersonal relationships rather than abstract principles. It views morality through the lens of emotional connection and responsiveness to others needs. Unlike traditional ethics based on universal rules, it emphasizes context-specific care and mutual responsibility. The theory highlights practical caregiving while addressing power dynamics in relationships. Though rooted in feminist critique, it has developed into a broader ethical framework. Its strength lies in balancing normative ideals with real-world relational complexities. This makes it particularly relevant for fields like nursing, education, and social justice.

Keywords: Care ethics, feminism, normativity, realism.

(1) المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار قسنطينة الجزائر

مقدمة:

نميّز في الفلسفة بين ثلاثة مباحث أساسية: مبحث الوجود (الأنطولوجيا) (Ontologie)، مبحث المعرفة (الإبستيمولوجيا) (Epistémologie)، مبحث القيم (الأكسيولوجيا) (Axiologie)، وهذه القيم التي ينشدها الإنسان هي: الجمال والحق والخير الذي يبحث فيه علم الأخلاق (Ethique)، مما يجعل الأخلاق مبحثا من مباحث فلسفة القيم؛ أي يبحث فيما يجب أن يكون عليه السلوك الإنساني انطلاقا مما هو كائن؛ أي أنه علم معياري.

إن التطرّق إلى المسألة الأخلاقية ليس موضوعا جديدا، لذلك تكشف الدراسة الفلسفية للأخلاق عن جوهر كل حضارة والعصر الذي تنتمي إليه، وما طرأ عليها من تطور وتغيّر تبعا للتغيرات التي شهدتها الحضارة عبر عصورها المختلفة، إذ ترتبط إشكالية الأخلاق جوهريّا بالفكر الفلسفي في بعديه النظري والعملي على حدّ سواء، وقد أصبحت اليوم، من خلال العودة لمبحث الإتيقا، محورا للعديد من التساؤلات الفلسفية.

ولأن الوضع الراهن للإنسانية يطرح تحدّيا يتمثل في حماية المصير الإنساني الذي تهدده مخاطر عديدة، لذلك فالتذكير بالقيم هو تذكير بوجود الإنسان ككائن حيّ عاقل وقيميّ في الوقت نفسه، وفي هذا الإطار، فإن الأخلاق كإشكالية فلسفية ذات طبيعة متميّزة بمشكلاتها المختلفة، تربط مختلف النظريات الأخلاقية بالواقع الإنساني بمختلف أبعاده: الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية...إلخ، دون الاقتصار على المضامين المعرفية الكلاسيكية في فلسفة الأخلاق.

تهتم الفلسفة الأخلاقية بالأحكام الأخلاقية، فهي تعالج القضايا المعيارية المتعلقة بما ينبغي فعله، حيث يمكن تصنيف النظريات الأخلاقية إلى ثلاث فئات رئيسية: علم الأخلاق وهو نظرية الواجبات الأخلاقية ومجموعة قواعد السلوك التي نحكم من خلالها على كل فعل أخلاقي وفقا لتوافقه أو عدم توافقه مع واجبات معيّنة، بغض النظر عن نتائجه، والأخلاق النفعية تحكم على الفعل الأخلاقي وفقا لنتائجه، وأخلاق الفضيلة.

وفي العصر المعاصر، نشأت تيارات فكرية جديدة على هامش الأنظمة الكلاسيكية لعلم الأخلاق، دون السعي إلى بناء مذاهب جديدة، حيث استكشف بعض الفلاسفة طرقا جديدة لحلّ المعضلات الأخلاقية، فبعيدا عن النظريات الأخلاقية المبنية على الواجب أو العواقب، نشأت الأخلاق التطبيقية انطلاقا من المشكلات الأخلاقية المتعلقة بمجالات محددة من النشاط الإنساني مثل: الصحة أو العمل أو العلوم أو الثقافة، كما نشأت مدارس ترتكز أحيانا على الحقوق الفردية، وأحيانا أخرى على العلاقات مثل أخلاق الرّعاية.

تمثل أخلاق الرّعاية تيارا فلسفيا أخلاقيا معاصرا، تفتح آفاقا جديدة لفهم المشكلات الأخلاقية وإعادة تحديدها، لذلك يُعد التفكير في الرّعاية جزءا من المنعرج الخاص بالفكر الأخلاقي المعاصر، إذ أصبحت أخلاق الرّعاية بديلا عمليّا للاتجاهات الاخلاقية التي طُرحت خلال القرنين الماضيين، فهذه الأخلاق تمثل منظورا أخلاقيّا يهتم بتعزيز العلاقات الإنسانية، والتركيز على المسؤولية والاهتمام بالآخرين، بدلا من الالتزام بمبادئ مجرّدة.

ترتبط أخلاق الرّعاية بتطور الفكر الأخلاقي والنقد الموجه للنماذج التقليدية (أخلاق الواجب والمنفعة)، التي ركّزت على العقلانية والعدالة كمصادر أساسية للسلوك الأخلاقي، حيث تُبرز أخلاق الرّعاية أهمية السياق والروابط العاطفية والاستجابة للحاجات الفردية، قد تبدو الرّعاية فكرة جديدة، لكن لها تاريخا غنيا في العالم الأنجلوساكسوني، وخاصة في الولايات المتحدة

الأمريكية، فالاهتمام وإظهار الرّعاية يدعو إلى التساؤل: من أين تأتي قدرتنا على الرّعاية؟ كيف يمكن إعادة بناء الأخلاق لتعطي أهمية أكبر للعلاقات الواقعية بدلا من التركيز على المعايير والمبادئ المجرّدة؟ ما مدى تجاوز أخلاق الرّعاية النظرة النسوية؟ وهل يمكن أن تكون أخلاق الرّعاية أخلاقا كونية أو عالمية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، اعتمدنا التحليل والمقارنة بين بعض اتجاهات أخلاق الرّعاية، وخاصة عند الفلاسفة المؤسسين لها، مع محاولة الوقوف على مفهوم هذه الأخلاق، وكيفية نشأتها، وبذلك نميّز بين النظرة الكلاسيكية المعيارية المجرّدة والنظرة الواقعية لأخلاق الرّعاية من خلال الممارسة، مع التركيز على إسهاماتها في إثراء النقاش الأخلاقي المعاصر.

1- نشأة أخلاق الرّعاية

إنّ فكرة وممارسة الرّعاية أو العناية (Sollicitude) (Care) قديمة قدّم الحضارة الإنسانيّة، فالرّعاية ضروريّة لفهم الإنسان والوضع الإنسانيّ، حيث يبيّن تاريخ الرّعاية أنّه يمكن اعتبار الرّعاية شرطا مسبقا لكامل الحياة الأخلاقيّة، غير أنّ هذا التّصوّر لم يحظ بالاهتمام الفكريّ كمقاربة ذات أهمّية للأخلاق حتّى سنة 1980، لقد فضّلت الأخلاق الغربيّة التّفكير في القواعد والنّتائج والفضائل على الرّعاية (Maurice Hamington C. R., 2019, p. 08)، لذلك ظهر التّفكير حول أخلاق الرّعاية في سياق النّقاش الفلسفيّ حول العدالة، رغم أنّها بدأت انطلاقا من أبحاث ميدانيّة وغذّيت بنتائج تجريبيّة في مختلف ميادين العلوم الاجتماعيّة، تسمح أخلاق الرّعاية بالاعتراف بأهمّية الرّوابط في الحياة الإنسانيّة (Damamme, 2020) .

تعتبر الرّعاية تاريخيّا من اختصاص النساء، إنّ تطبيق رؤيا نوع الجنس على التّصوّرات المحايدة ظاهريا ظاهرة حديثة نسبيّا، ولا تزال غير مقبولة كليّا، ولقد حظيت أخلاق الرّعاية باهتمام متزايد في الأوساط الأكاديميّة، ومن طرف تخصّصات متنوّعة: سيكولوجيّة وفلسفيّة والعلوم السياسيّة، والتي عززت الاهتمام بمصطلح أخلاق الرعاية في النظرية الأخلاقية (Maurice Hamington C. R., 2019, p. 09)

فلقد تطوّرت أخلاق الرّعاية في العقود القليلة الماضية بوصفها بديلا للمقاربات الأخلاقية المعتمدة في الماضي، لقد غيّرت هذه الأخلاق الطرق المعتادة في تفسير المشكلات الأخلاقية، وأعادت النظر فيما كان يُعتقد أنّه من المقاربات المستحسنة لما يجب أن يكون أخلاقيا، فقد بُنيت هذه الأخلاق على تجربة واقعية للرّعاية (Held, 2006, p. 03)، يعود أصل فلسفات الرّعاية إلى الدراسة التي نشرتها عام 1982 عالمة النفس والفيلسوفة النسوية الأميريكية كارول جيليغان (Carol Gilligan) المولودة سنة 1936، فقد بيّنت من خلال بحث في علم النفس الأخلاقي أنّ معايير اتخاذ القرار الأخلاقي ليست متماثلة لدى الرجال والنساء، ففي حين يفضّل الرجال منطق الحساب (Logique de Calcul) والإشارة إلى الحقوق، تميل النساء إلى قيمة العلاقة، ويتوجّهن إلى ما يُعزّز العلاقات البينشخصية (Interpersonnelles) وتطوير التفاعلات الاجتماعية، وانطلاقا من هذه الملاحظة، أقامت جيليغان الأنموذج الأخلاقي الجديد (Zielinski, 2010, p. 632)، القائم على القدرة على التعاطف أو القدرة على رعاية الآخرين (Gilligan, 1993, p. xix).

لذلك كانت أخلاق الرّعاية مبادرة من جيليغان في كتابها "بصوت مختلف" (In a Different Voice)، لتجديد المقاربة الأخلاقية التي سيطرت على التصورات التقليدية للأخلاق (Paperman, 2010, p. 52)، وقد شاركتها هذا التوجّه الفيلسوفة الأمريكية نيل نودنغس (Nel Noddings) (1929– 2022) في منتصف الثمانينيات، حيث اتّهمتا الأخلاق التقليدية بالتحيّز

الذكوري، وأعلنتا أنّ تصوّر الرّعاية يُعدّ بديلا مشروعا، إن لم يكن أفضل من تصوّرات العدالة التي تقدّمها الفلسفتان النفعية والكانطية (Maurice Hamington, 2011, p. vii).

ثم طوّرت بعض الأعمال اللاحقة حول أخلاق الرّعاية مجموعة من الأفكار المتعلّقة بالبعد الأخلاقي للحياة الاجتماعية، والذي يشكّل في الوقت نفسه، تحليلا سياسيا واجتماعيا لأنشطة الرعاية (Paperman, 2010, p. 52)، إنّ فلاسفة أخلاق الرّعاية يدعون إلى مزيد من الإصلاح الجذري لمكانة وقيمة الرّعاية، وقد أدى بروز أخلاق الرّعاية كنظرية أخلاقية متميّزة إلى اعتبارها شكلا من أشكال الأخلاق النسوية، لكنها تجاوزت هذا الإطار لتطال سياقات أكثر حياديّة بين الجنسين، كما تمّ تطبيقها على مجموعة متنوّعة من التخصّصات (Maurice Hamington, 2011, p. vii).

2- مفهوم أخلاق الرّعاية

1.2 تعريف الرّعاية وأخلاقها:

تعدّ أخلاق الرّعاية تيّارا في فلسفة الأخلاق المعاصرة، حيث استعمل هذا المصطلح بمفهوم خاصّ يضم جملة من المعاني: الاهتمام بالآخر والعناية والمسؤوليّة والعطف والمساعدة المتبادلة آخذة بعين الاعتبار الاحتياجات والعلاقات والوضعيات الخاصّة للفعل، والتأكيد على ضعف الأشخاص واقعيا وتبعيّتهم، إذ يرتكز اهتمام أخلاق الرّعاية على نتائج اختياراتنا وأفعالنا اليوميّة، بالإضافة إلى أن أعمال الرّعاية تستند بشكل واسع على النّساء في الأسرة والمجتمع من حيث أنها مهمشة وفاقدة للقيمة (Paperman, 2010, p. 52).

لذلك يصعب تعريف الرّعاية بسبب دلالاتها الواسعة وتعدد أبعادها، إذ يعرّفها فلاسفة أخلاق الرّعاية بطرق مختلفة (Maurice Hamington, 2011, p. viii)، ومن التحديات التي تواجه توصيف الرّعاية وجود خلاف حول السمات الجوهرية لهذا النشاط، فقد وُصفت الرّعاية بأنها فضيلة وواجب وعمل وممارسة واستعداد، وعلى الرغم من أنّ مصطلح الرّعاية يستخدم كمقاربة أخلاقية، إلا أنه أكثر تعقيدا من مجرد كونه تصورا نظريا، فنودنغس تُعرّف الرّعاية كمجموعة من المواقف السلوكية، في حين ترى الفيلسوفة الأمريكية جوان ترونتو (Joan Tronto) (1952) أنها ممارسة (Maurice Hamington, 2011, p. viii)، "نقترح عموما النظر إلى الرّعاية بوصفها نشاطا نوعيا يشمل كل ما نقوم به للحفاظ على عالمنا واستمراريته وإصلاحه، حتى نتمكن من العيش فيه بأفضل صورة ممكنة، ويشمل هذا العالم أجسادنا وأنفسنا وبيئتنا، وهو يمثّل كل ما نسعى جميعا لتحقيقه في شبكة معقّدة ومستدامة للحياة" (Tronto, Moral boundaries: A Political Argument for an Ethic of Care, 1993, p. 103).

نلاحظ في هذا التعريف العديد من الخصائص، أولا لا تقتصر الرّعاية على تفاعلات الإنسان مع الآخرين، بل يمكن أن تشمل الرّعاية أيضا الأشياء والبيئة، ثانيا لا يُفترض أنّ الرّعاية علاقة ثنائية أو بين الأفراد، فغالبا ما توصف الرّعاية وتُعرّف على أنها علاقة بين فردين، وفي أغلب الأحيان بين الأم وطفلها، ويفترض مثل هذا التصوّر أن الرعاية بطبيعتها فردية، مع أنّ قلة فقط ممن فكروا في تربية الأطفال والتي تُعد من الأشكال النموذجية للرّعاية، لذلك فالتمسك بفرضية الرّعاية ذات الشكل الثنائي جعلت معظم المؤلفين المعاصرين يرفضون منذ البداية الاعتراف بالأشكال المختلفة التي يمكن أن تتخذها الرعاية اجتماعيا وسياسيا في ثقافة معينة، ثالثا يؤكد هذا التعريف أنّ نشاط الرّعاية محدد ثقافيا، وبالتالي يختلف باختلاف الثقافات، رابعا تُعتبر الرّعاية نشاطا حيويا، يمكن أن توصف بأنها نشاط خاص أو سيرورة، وفي هذا الصدد ليست الرّعاية مجرد اهتمام فكري أو سمة شخصية، بل اهتمام

بالحياة يتضمن نشاط الإنسان في سيرورة الحياة اليومية، فالرّعاية ممارسة واستعداد في الوقت نفسه (Tronto, Du care, 2008, pp. 244,245).

كما يعرّفها العديد من مفكّري أخلاق الرّعاية على أنها ممارسة، وذلك للتأكيد على أنها عمل يجب القيام به بشكل مباشر وملموس، وهو ما ينطوي على إنفاق للطاقة واستثمار شخصي من جانب ممارسيها، ومن أجل تضييق نطاق الرّعاية وإبراز أبعادها المتعلقة بالقوة الاجتماعية، ولأسباب مماثلة تميل الفيلسوفة الأمريكية فرجينيا بوتر هيلد (Virginia Potter Held) (1929) إلى تعريف الرّعاية على أنها ممارسة ولكن على نطاق واسع (Maurice Hamington, 2011, p. viii).

"سأوضح معنى الرّعاية في السّياقات الّتي تعتبر فيها رعاية الأطفال أو المرضى، والاهتمام الشّديد بكيفيّة إطعام أولئك الّذين لا يحصلون على الغذاء الكافي، من الأمور البراغماتيّة في بعض النّواحي، ولكنّ علاقات الرّعاية التي سأفكّر فيها تتجاوز هذه السّياقات إلى حدّ كبير، وينبغي علينا أن نحرص على عدم رسم حدود للنّموذج الّذي يدور في أذهاننا بشكل ضيّق، كأنّنا نفكّر فقط في الأمومة في الأسرة النّوويّة، فنحن بحاجة إلى توضيح أنّ الرّعاية تشمل أيضا: الرعاية التي تقدمها الأسر الممتدّة من خلال العديد من العاملات المنزليّات والعاملات في المستشفيات والمعلّمين وغيرهم في ممارساتهم وغيرهم بطرق أخرى عديدة" (Held, 2006, p. 31)، وبناء على التّمييز بين الشعور برعاية شيء ما ونشاط رعاية شخص ما، تلاحظ هيلد أنّ رعاية شخص ما تختلف جوهريّا عن الاهتمام بنوع معين من الموسيقى، ورغم الشّكّ في وجوب مرافقة المشاعر الدّافئة دائما لعمل الرّعاية، تؤكّد هيلد أنّ الإنسان يميل إلى رعاية الآخرين بشكل أفضل، وتستنتج أنّ الرّعاية يجب أن تكون قادرة على الإشارة في الوقت نفسه إلى العمل والدافع والقيمة (Maurice Hamington, 2011, p. viii).

يتميّز مفهوم الرّعاية بعدم إهمال العمل المتعلّق برعاية الأشخاص، ورفض تفسير الأخلاق على أنها مثالية وغير عملية، وهو ما يعارضه دعاة أخلاق الرّعاية، فالرّعاية قيمة وممارسة على حد سواء، لقد تطورت كنظريّة أخلاقيّة ذات صلة ليس فقط بالأسرة والصداقة ولكن ارتبطت أيضا بممارسة الطب والقانون والحياة السياسية وتنظيم المجتمع والحرب والعلاقات الدولية (Held, 2006, p. 09).

إن فلاسفة ومفكري أخلاق الرّعاية يتشاركون في رؤية عالميّة تسلّط الضّوء على الضّعف الإنساني وهشاشة الحياة، حيث تكون التّرابطات المتبادلة أساسية وإن كانت غامضة في بعض الأحيان، وتعتبر ممارسات الرّعاية ضرورية إلى حدّ ما، كما تشكّك أخلاق الرّعاية في المبادئ المجرّدة والكلّيّة، وخاصة الآليّات الإجرائيّة العقلانيّة كمبدأ المنفعة والأمر القطعي الكانطي، وأنّ الأحكام الأخلاقيّة قابلة للاستنتاج كمسائل الرّياضيّات، بل إنّ أخلاق الرّعاية تعتمد على المعرفة والحكمة السّياقيّة والمسترشدة بالمبادئ، ولكنها مصقولة بالخبرات العملية والتّقدير التّعاطفي والاستجابة للآخرين (Maurice Hamington, 2011, p. ix).

2.2 طبيعة أخلاق الرّعاية:

تؤكّد أخلاق الرّعاية على أهميّة العلاقات الاجتماعيّة المحيطة بالتّبعيّة والضّعف، إنّها تسلّط الضّوء على مركزيّة هذه الجوانب من الحياة الإنسانيّة، والتي تشكّل النّقاط العمياء لأخلاق العدالة، لذلك فإنّ أخلاق الرّعاية تساهم في تجديد النّظرة إلى الضّعف التأسيسي للوجود الإنساني، فمن وجهة نظرها يعدّ الضّعف أساسا في حياة الإنسان، إذ هو مرتبط بحياة كلّ إنسان، لذلك فإن أخلاق الرعاية لا تنظر إلى الضّعف على أنّه خاصّ بفئات معيّنة من الأشخاص أو بجماعات معينة، بل تعدّه سمة جوهرية في التّجربة الإنسانيّة (Paperman, 2010, p. 52).

تتميّز أخلاق الرّعاية كنظريّة أخلاقيّة معياريّة عن النظريّات الأخلاقيّة الأخرى في ناحيتين جوهريتين: أولا إنها تعترف بدور بعض العواطف في التّفكير الأخلاقي، فالنّظريّات الأخلاقيّة التّقليديّة تنظر إلى العواطف على أنّها غير عقلانيّة وتتعارض مع عملية التّفكير، غير أنّ أخلاق الرّعاية تنظر للتّعاطف والحساسيّة والاستجابة كنوع من العواطف الأخلاقيّة التي تحتاج إلى التربية، ليس فقط للمساعدة في تنفيذ أوامر العقل، ولكن للتّأكّد بشكل أفضل بما توصي به الأخلاق (Maurice Hamington, 2011, p. 74)، ومنه فأخلاق الرّعاية عادة ما تُقدر العواطف والقدرات العلائقيّة الّتي تمكّن الأشخاص المعنيين أخلاقيا في السياقات البينشخصية الفعلية من فهم ما هو الأفضل، ثانيا تحترم أخلاق الرّعاية مطالب الأشخاص الآخرين الذين نتشارك معهم علاقات فعلية، إنّها تدعو إلى التّشكيك في القواعد العالميّة والمجردة للنظريات السائدة (Held, 2006, p. 11).

لقد تجاوزت صيرورة هذا الأنموذج الجديد حدود الدراسات النسويّة لتسليط ضوء جديد على أنثروبولوجيا الأخلاق والأخلاق المعاصرة، خاصّة من خلال التّشكيك في العلاقة بين البعد البينشخصي للعلاقة وبعدها الاجتماعي، إلى درجة التساؤل عن كيفيّة رعاية المجتمع والعالم الذي نعيش فيه، ووفقا لنظريّات الرعاية، يتمّ تقديمها أحيانا على أنّها استعداد، وأحيانا أو في الوقت نفسه على أنّها نشاط؛ أي ممارسة واقعيّة معترف بها اجتماعيا (Zielinski, 2010, p. 632)، فمن ناحية هي القدرة على الاهتمام بالآخرين، والسلوك الخاصّ الذي يكمن في الاهتمام بالآخرين الذين تمّ تحديد ضعفهم، ومن ناحية أخرى تعتبر الرّعاية مجموعة من الممارسات الاجتماعية التي تؤدّي إلى أشكلة حقيقة الرّعاية وتلقّيها، لذلك يمكننا القول إنّ تيّار أخلاق الرّعاية تطوّر بالفعل بين هذين التصوّرين: الاستعدادات والممارسات (Lazare Benaroyo, 2010, p. 69).

تبدأ أخلاق الرّعاية من الموقف الأساسي المتمثّل في العلاقة بين جميع أفراد النوع الإنساني، وعلاقتهم بالبيئة، وتشابك العلاقات المتعدّدة باعتبارها أساسا للوضع الإنساني طوالّ الحياة، الرّعاية هي القيمة الأساسيّة، وتعترف أخلاق الرّعاية بأنّ جميع المواقف، وخاصّة تلك التي يجب اتخاذ إجراء فيها، لها خصائص أخلاقيّة وأنّه لا يوجد موقفان أخلاقيّان متماثلان تقريبا، إذ لا تنظر أخلاق الرّعاية إلى الميدان الخاصّ والعامّ كثنائيّة متناقضة، بل على أنّهما متداخلان، وحيثما يكون الأخلاقي والسياسي، فهما حاضران دائما، فأخلاق الرّعاية هي قيمة وممارسة وسيرورة تتخلل كلّ الأنشطة الإنسانيّة (Maurice Hamington, 2011, p. 04).

ويمكن من خلال أخلاق الرّعاية، فهم القيم المتضمّنة في فعل الرّعاية، وكيف يمكن انطلاقا من معايير هذه الأخلاق، رفض العنف والسيطرة (Held, 2006, p. 03)، كهدف أخلاقي وفضيلة، تسعى أخلاق الرعاية إلى الحفاظ على العلاقة من خلال تعزيز خير مقدّمي الرّعاية ومتلقّيها في شبكات العلاقات الاجتماعية، تنطوي الرّعاية على الحفاظ على العالم، وتلبية الاحتياجات المتنوّعة للذات والآخرين، وهي الاحتياجات التي تنشأ إلى حدّ كبير من الجسد، تبنى أخلاق الرعاية على الدافع لرعاية أولئك الضعفاء بما في ذلك الذات، وهي مستوحاة من ذكريات الرّعاية، ومن الذات المثاليّة للفرد، وباتباع التقليد العاطفي للنظرية الأخلاقيّة، تؤكّد أخلاق الرّعاية أيضا على الاستخدام المناسب للعاطفة وللحكمة الأخلاقية والعمل بها.

3- الرّعاية وأخلاق الرّعاية

إنّ ظهور أخلاق الرّعاية كإطار أخلاقي شامل هو ظاهرة حديثة في تاريخ الفلسفة الأخلاقية، وعلى الرغم من وجود العديد من المساهمات الفلسفيّة القيّمة في تطوير أخلاق الرّعاية كإطار أخلاقي شامل، فإنّ جيليغان كانت أوّل من استخدم

مصطلح أخلاق الرّعاية وطوّرته بشكل أعمق في سياق العلاقات والتطوّر الأخلاقي النسوي، وقد كان تركيزها على التفكير الأخلاقي للمرأة جزءا لا يتجزّأ عن المخاوف النسويّة الناشئة من التعميم الزائف القائم على النموذج الذكوري (Maurice Hamington M. S.-S., 2011, pp. 03,04)، بالإضافة إلى تهميش المرأة، وكذلك الآراء النسويّة حول المعرفة والواقع.

1.3 صوت المرأة وأخلاق الرّعاية عند جليغان:

برز اهتمام جيليغان بأخلاق الرّعاية عندما بدأت البحث في أسباب عدم حصول النساء على نتائج جيّدة في مقياس أو سلّم التطوّر الأخلاقي الذي طوّره عالم النفس الأمريكي لورانس كولبرغ (Lawrence Kohlberg) (1927- 1987)، وقد قادها بحثها إلى أنّ النساء أكثر ميلا إلى تقدير الحفاظ على العلاقات، وخير المشاركين في العلاقة في تفكيرهنّ الأخلاقي، وهذا ما يتناقض مع التقدير النهائي للاستقلال الفردي والحقوق الصوريّة، في العقلانيّة الأخلاقيّة الموجودة في أعلى مقياس نموذج كولبرغ للتطوّر الأخلاقي، وقد تمّ بناء نموذج كولبرغ على بيانات مأخوذة من الطلاب الذكور بجامعة هارفارد فقط، ثم تمّ تعميمه، ممّا دفع جيليغان إلى القول بأنّ نتائج كولبرغ غير كاملة، وأن نموذجه للتطوّر الأخلاقي كان متحيزا، وأن تعميمه زائف (Maurice Hamington, 2011, p. 06)، "ففي البحث الذي استمدّ منه كولبرغ نظريّته، لا وجود للإناث على الإطلاق، حيث تستند المراحل الست لوصف تطوّر الحكم الأخلاقي من الطفولة إلى البلوغ، على دراسة تجريبيّة أجريت على أربعة وثمانين صبيّا، ولمدّة تزيد على عشرين عاما" (Gilligan, 1993, p. 18).

كما انتقدت جيليغان استخدام كولبرغ لمعضلات أخلاقية افتراضية، وبدلا من ذلك فإنّ أخلاق الرّعاية التي تتبنّاها جيليغان ترتكز على الحياة اليومية والتجارب والمعضلات الأخلاقيّة للأشخاص العاديّين في سياق مجموعة كاملة من المسؤوليات والعلاقات، بدلا من الحقوق والقواعد، وقد أطلقت جيليغان على هذه الرؤية للتطوّر الأخلاقي لدى النساء اسم أخلاق الرّعاية، حيث وصفتها، بعد رعاية الذات والشعور بالمسؤوليّة تجاه الآخر، (Maurice Hamington, 2011, p. 06) بأنها تركز في التصوّر الثالث على ديناميكيّة العلاقة، وتبدّد التوتّر بين الأنانيّة والمسؤوليّة، من خلال فهم جديد للترابط بين الآخر والذات، وهكذا أصبحت الرّعاية مبدأ مختارا ذاتيا للحكم، يظلّ سيكولوجيّا في اهتمامه بالعلاقات والاستجابة، ولكنه يصبح كليّا في إدانته للاستغلال والأذى (Gilligan, 1993, p. 74).

ركّزت جيليغان في تطويرها لأخلاق الرّعاية على اهتمامين أساسيّين: الأول يتناول تطوير صياغة لأخلاق الرّعاية، والثاني يتناول قضيّة صوت المرأة في بناء النماذج الأخلاقيّة والتفكير الأخلاقي، لقد رأت جيليغان أن تطوير أخلاق الرّعاية يمرّ عبر ثلاث حالات عامّة: رعاية الذات، والشعور بالمسؤوليّة عن الآخر على حساب الذات، والتوفيق بين الاثنين مع التركيز على رعاية الآخر وكذلك الذات في علاقة ديناميكيّة ومترابطة وصحيّة، وقد نشأ هذا التأكيد على العلاقات من العلاقة المبكرة بين الوالدين والطفل، والبنية الاجتماعيّة لأدوار المرأة في الرعاية والتغذية، إنّ الرّعاية والاهتمام بالعلاقات يؤدّيان إلى رفض الاستغلال والقمع والأذى، والاهتمام الأساسي بالتطوّر البشري البنّاء لأجل مجتمع صحّي (Maurice Hamington, 2011, p. 07).

2.3 أخلاق الرّعاية عند نودنغس:

ترى نودنغس أنّ أخلاق الرعاية تتطلب من الأفراد التصرّف باهتمام، وهذا يعني أنّنا نتصرف بشكل صحيح أو مسموح به إذا كانت أفعالنا تُعبّر أو تُظهر موقفا أو دافعا للرّعاية تجاه الآخرين، ويكون الفعل مسموحا به أخلاقيّا إذا أظهر الرّعاية، وتبعا لها فإنّ الأفعال الحقيقيّة للرّعاية تتضمّن حساسيّة عاطفيّة تحفيزيّة تجاه الآخرين، فالشخص يشعر أنّه معني بوضعيّة شخص ما،

وينصبّ تركيزه على الفرد نفسه، وليس على أيّ مبادئ أخلاقيّة مجرّدة أو عامّة لتحديد كيفيّة التصرّف تجاه هذا الفرد (Slote, 2007, pp. 10,11).

تركّز نودنغس على مواقف الرّعاية التي تصاحب نشاط الرّعاية، إنّ الاهتمام الوثيق بمشاعر واحتياجات ورغبات وأفكار الأشخاص الذين تتمّ رعايتهم، والمهارة في فهم الموقف من وجهة نظر ذلك الشخص، هي أمور أساسيّة لرعاية شخص ما، وترى أنّ الجانب المعرفي لموقف مُقدّم الرّعاية هو جانب متقبّل، وليس موضوعيّا وتحليليّا، وأنّ فهم احتياجات الأشخاص الذين تقدّم لهم الرّعاية يعتمد على الشعور بهم أكثر من اعتماده على الإدراك العقلاني، وفي نشاط الرّعاية تكون القواعد المجرّدة ذات فائدة محدودة، فقد يكون هناك دافع طبيعي لرعاية الآخرين، ولكن لدعم هذا الدافع، يحتاج الأشخاص إلى الالتزام الأخلاقي بمبدأ الرّعاية، فالرّعاية سلوك ومثل أعلى يتجلّى في أنشطة الرّعاية في مواقف ملموسة، تستكشف كيف سيكون المجتمع الذي يقدّم الرّعاية، وهي تسعى إلى وصف واسع النطاق عندما ننخرط في لقاءات الرّعاية، وتستكشف ما يميّز الوعي في مثل هذه العلاقات (Held, 2006, p. 31).

لقد رأت نودنغس أنّ هناك دوائر من العلاقات القائمة على الرّعاية، والتي تتحرّك خارج الشخص الذي يقوم بالرّعاية، وهذه الدوائر هي: دائرة داخليّة من الأحبّاء، وخاصّة الأسرة، ودائرة ثانية من أولئك الذين نتفاعل معهم بشكل منتظم، مثل الأصدقاء والزملاء، أما الدائرة الثالثة فتتألف من بقيّة العالم، وبالنسبة للدائرة الداخليّة، فإنّ علاقة الرّعاية هي الأكثر كثافة واستدامة، أمّا في الدائرة الثانية فإنّ الفرد يتحرّك داخل وخارج علاقة الرّعاية، وذلك يتوقّف على السياقات وعدد الأفراد الذين توجّه الرّعاية إليهم، أمّا الدائرة الأخيرة فهي واسعة جدا بحيث لا يكون هناك إلا سلوك رعاية عام ومتقطع، ومع ذلك قد يجد الأفراد أنشطة خيريّة وتطوعيّة محدّدة في الدائرة الثالثة، توفّر للفرد فرصة للانخراط بشكل أعمق في أنشطة الرّعاية، ولقد وسّعت نودنغس في أعمالها اللاحقة وجهة نظرها لأخلاق الرّعاية، لتبيّن كيف يمكن للمرء، من خلال تطوير أخلاق الرّعاية الكافية في المنزل، أن يحقّق أخلاق الرّعاية في السياق الاجتماعي والعالمي الأوسع (Maurice Hamington, 2011, p. 08).

يبدو أنّ للرعاية جانبين إضافيّين: أوّلا أنّها تتضمّن الوصول إلى شيء آخر غير الذات؛ فهي لا تشير إلى الذات، ولا تتمركز حول الذات (Tronto, Du care, 2008, p. 243)، "إنّ هذا المثّل الأعلى الأخلاقي، وهذه الصورة الواقعيّة لأنفسنا باعتبارنا أشخاصا يهتمّون ببعضهم البعض، هي التي ترشدنا في سعينا إلى لقاء الآخر أخلاقيّا" (Noddings, 1984, p. 05)، "ثانيا تشير ضمنا إلى أنّها ستؤدّي إلى الفعل، أوّلا إمّا أن يؤدّي الفعل إلى نتيجة إيجابيّة لمن تتمّ رعايته، أو يبدو عقليا من المحتمل أن يؤدّي إلى ذلك، ثانيا يُظهر من يقوم بالرّعاية تنوّعا في أفعاله، فهو غير مقيّد بقواعد بالنيابة عمّن تتمّ رعايته" (Noddings, 1984, p. 25).

في محاضرة ألقتها أمام جمعيّة المرأة في الفلسفة عام 1988، ترى نودنغس أنّ التزاماتنا تجاه الأشخاص الذين لا نعرفهم لا يمكن الوفاء بها من خلال مفهوم الرّعاية، لأنّ الرّعاية تتطلّب علاقة مستمرّة، وبعبارة أخرى يمكننا التمييز بين مفهوم نودنغس الخاص للرّعاية، وما يسمح به مفهوم أو فكرة الرّعاية نفسها، وفيما يتعلّق بهذه الأخيرة، فمن المنطقي تماما التمييز بين نوعين من الرّعاية: ما قد نسمّيه "الرّعاية الحميميّة" مقابل ما يمكن أن نسمّيه "الرعاية الإنسانية" (Slote, Morals from Motives, 2001, pp. 64,65).

تميّز نودنغس بين الرّعاية الطبيعيّة والرّعاية الأخلاقيّة (Inge van Nistelrooij, 2022, p. xvii)، فالأخلاق باعتبارها فضيلة فعالة، تتطلب شعورين وليس شعورا واحدا فقط، الأول هو الشعور بالرّعاية الطبيعيّة، إذ لا يمكن أن يكون هناك شعور أخلاقي

بدون هذا الشعور الأوّلي، الذي يمكّننا من القيام بذلك، وفي الوضعيات التي نتصرف فيها نيابة عن الآخر لأنّنا نريد أن نفعل ذلك، فإنّنا نتصرف وفقا للرعاية الطبيعية، إنّ جهود الأم في رعاية طفلها لا تعتبر عادة أخلاقيّة، بل طبيعيّة، فحتى الحيوانات تعتني بذريّتها، ونحن لا ننسب إليها السلوك الأخلاقي (Noddings, 1984, p. 79).

3.3 أخلاق الرّعاية استعداد وممارسة عند ترونتو:

تكمن المساهمة الرئيسيّة لترونتو في توسيع مجال أخلاق الرّعاية إلى المجال السياسي، وفي الوقت نفسه حلّ ثنائيّة الخاصّ والعامّ، إذ تلاحظ أنّ الحدود المصطنعة والثنائيّة الزائفة بين الميدان الأخلاقي والسياسي، والخاصّ والعامّ، قد أضعفت المرأة وأخلاق الرّعاية، عندما نجعل الرّعاية والتي تقوم بها النساء إلى حدّ كبير تابعة للأخلاق وللمجال الخاصّ، مع استبعاد المجال العامّ والسياسي، وهو مجال الرجال في المقام الأوّل تاريخيّا، وهي تشير إلى النقطة الأساسيّة والمتمثّلة في أنّ جميع الحجج الأخلاقيّة تُطرح في سياق سياسي (Maurice Hamington, 2011, p. 09)، "فرؤيتها للحياة الأخلاقيّة ينبغي أن تزوّدنا بطريقة لاحترام الآخرين والتعامل معهم بعدل، ولكي يتسنّى لنا القيام بذلك، يجب علينا أن نحترم ما يقضي معظم الناس حياتهم في القيام به: رعاية أنفسهم والآخرين والعالم" (Tronto, Moral boundaries: A Political Argument for an Ethic of Care, 1993, p. x).

تقدّم ترونتو أربع حالات للرعاية، والتي تتوافق مع أربع صفات أخلاقيّة خاصّة، وأنّ الأخلاق المعنيّة يتمّ اختبارها في الممارسة، بدلا من معرفتها من المبادئ الكبرى (Zielinski, 2010, p. 633)، ومن ثمّ فإنّ الرّعاية باعتبارها سيرورة مستمرّة تتجسّد في أربع حالات منفصلة من الناحية التحليليّة، ولكنّها مترابطة، وهذه الحالات هي: "الرّعاية"(Caring about) "الرّعاية بـ" (Taking Care of) و"تقديم الرّعاية" (Care-giving) و"تلقي الرّعاية" (Care-receiving) (Tronto, Moral boundaries: A Political Argument for an Ethic of Care, 1993, pp. 105,106).

تعني "الرّعاية" الاعتراف بوجود حاجة، وتقدر أنّ هذه الحاجة ينبغي تلبيتها بطريقة ما، وتتضمن "الرعاية بـ" تحمل بعض المسؤوليّة عن هذه الحاجة، وبناء بعض الإجراءات للاستجابة لها، أمّا "تقديم الرعاية" فهو السلوك الفعلي لتلبية الحاجة إلى الرّعاية، ويجد "تلقي الرعاية" الشخص الذي تتمّ رعايته مستجيبا للرعاية التي يتلقّاها، بالإضافة إلى هذه الحالات الأربع من الرّعاية، تقول ترونتو إنّ هناك أربعة عناصر أخلاقيّة للرعاية هي: الانتباه ويعني الاهتمام باحتياجات الآخر أو الآخرين، والمسؤولية وتولد الرغبة المحسوسة في تلبية الحاجة غير الملبّاة، سواء كانت احتياجات الذات أو احتياجات الآخرين، والكفاءة وتعني أنّه في غياب نقص الموارد يتمتّع الشخص بالمعرفة والمهارات والقدرة على تقييم الموقف، وتنفيذ الإجراءات المختارة لتلبية احتياجات الرعاية، والاستجابة وتتضمن النظر إلى الآخر كما يرى ويفسّر نفسه.

بالنسبة لترونتو فإنّ الرّعاية تمتدّ من السياق الخاص إلى السياق العام (Maurice Hamington M. S.-S., 2011, pp. 09,10)، فالرّعاية من حيث هي ممارسة، تقتضي أكثر من مجرّد النوايا الحسنة، فهي تتطلّب معرفة عميقة ومدروسة للوضعيّة، وبجميع الفاعلين فيها، واحتياجاتهم وكفاءاتهم، إنّ استخدام أخلاق الرّعاية يتطلب معرفة سياق سيرورة الرّعاية، ولذلك يجب على أولئك الذين ينخرطون في عمليّة الرعاية إصدار أحكام: أحكام حول الاحتياجات والاحتياجات المتضاربة والاستراتيجيات المناسبة لتحقيق الغايات، وكذلك حول استجابة متلقّي الرعاية (Tronto, Moral boundaries: A Political Argument for an Ethic of Care, 1993, pp. 136,137)، فالرّعاية هي سيرورة تتطلّب تواصلا ومحادثة بين جميع المتأثّرين بالأحكام الأخلاقيّة، ضمن النطاق الكامل من العلاقات الشخصيّة إلى العلاقات الاجتماعيّة.

تناقش ترونتو المسافة بين مقدّمي الرّعاية ومتلقيها، وهي مهتمّة بالصراع الذي يخوضه مقدّمو الرّعاية لفصل احتياجاتهم عن احتياجات متلقّي الرّعاية، وكيفيّة حلّ هذه الصراعات، وتتضمّن هذه الرؤية للانفصال وتفسيره بالإضافة إلى الصراع البحث عن طرق عمل مقبولة لتلبية احتياجاتهم واحتياجات الشخص الذي تتمّ رعايته (Maurice Hamington, 2011, p. 10).

4.3 أخلاق الرّعاية ممارسة وقيمة عند هيلد:

تصف هيلد أخلاق الرّعاية على أنّها ممارسة وقيمة في الوقت نفسه، وهي تعرّف (Maurice Hamington, 2011, p. 13) "الرّعاية بأنّها علاقة يتقاسم فيها مقدّم الرعاية والشخص الذي يتلقّى الرّعاية مصلحة مشتركة لخيرهما المتبادل" (Held, 2006, pp. 34,35)، وتضيف "أنّ الرّعاية هي ممارسة تتضمّن تقديم الرّعاية، وكذلك المعايير التي يمكن من خلالها تقييم ممارسات الرّعاية، ويجب أن تهتمّ الرّعاية ليس فقط بفعالية الجهود المبذولة لتلبية الاحتياجات، بل أيضا بالدوافع التي يتمّ تقديم الرّعاية من أجلها، فالرّعاية تسعى إلى إقامة علاقات رعاية جيّدة" (Held, 2006, p. 36).

وفيما يتعلّق بالممارسات الراهنة للرّعاية، فإنّنا نحتاج إلى الرعاية كقيمة لاختيار المجموعة المناسبة من الاعتبارات الأخلاقيّة، مثل الحساسية والثقة والمخاوف المتبادلة، من أجل تقييم هذه الممارسات، تقدّم هيلد دراسة للجدال الدائر حول الرّعاية والعدالة، وتقيم الحجة لصالح الموقف القائل بأنّ الرّعاية أوسع من العدالة، فهي تصوّر أخلاقي أكثر من كونها تصوّرا للعدالة، وترى أنّه يمكن أن تكون هناك رعاية من دون عدالة، لكن لا يمكن أن تكون هناك عدالة من دون رعاية، وتوصي بفحص كل وضعيّة من وجهة نظر كلّ من الرّعاية والعدالة، في جميع السياقات الأخلاقية، مع إعطاء القيمة المناسبة لكلّ منهما اعتمادا على السياق الأخلاقي (Maurice Hamington, 2011, p. 13).

الرّعاية هي ممارسة وقيمة في الوقت نفسه، فهي كممارسة تبيّن لنا كيفيّة الاستجابة للاحتياجات، وهي تؤسّس للثقة والاهتمام المتبادل والترابط بين الأشخاص، وليست الرّعاية سلسلة من الأفعال الفردية، بل هي ممارسة تتطوّر مع تطوّر مواقفها المناسبة، وتتمتّع بصفات ومعايير يمكن وصفها، ولكن الأهمّ من ذلك أنّها يمكن التوصية بها ويجب تحسينها باستمرار، وينبغي لممارسات الرّعاية أن تعبّر عن العلاقات الرعائيّة التي تجمع الأشخاص معا، وينبغي لها أن تفعل ذلك بطرق أكثر إرضاء من الناحية الأخلاقية بشكل تدريجي، فالرّعاية فضلا عن كونها ممارسة، هي أيضا قيمة، ولابدّ من تقدير الأشخاص الذين يتّسمون بالرّعاية، وكذلك المواقف التي تتّسم بالرّعاية، ويمكننا أن ننظّم العديد من التقييمات لكيفية ارتباط الأشخاص ببعضهم البعض في إطار مجموعة من الاعتبارات الأخلاقية المرتبطة بالرّعاية أو بغيابها (Held, 2006, p. 42).

يمكننا أن نلاحظ أنّ كل ترونتو وجيليغان دافعتا في أخلاق الرّعاية، عن إمكانية تجاوز التعارض التقليدي بين العاطفة والعقل، والمصلحة الخاصة والعامة، إذا أخذنا بعين الاعتبار المشاعر الأخلاقية وخصوصية السياق، (Harang, 2009, p. 140)، تدعونا أخلاق الرّعاية عند كلتيهما إلى إعادة تحديد معالم السياسة من أجل التوفيق بين المبادئ العامة للعدالة وواقع التجربة اليومية (Harang, 2009, p. 154)، فأعمال كلّ من جيليغان وترونتو هي نقد نسوي لنظرية العدالة لفيلسوف الأمريكي جون راولز (John Rawls)، المستندة على التقاليد الليبرالية للعقد الاجتماعي، والتي اقترحت بديلا كانطيّا جديدا للمذاهب النفعية (Ibos, 2019, p. 193)، لذلك هي نقد نسويّ للنظريات الأخلاقية والسياسية السائدة، ولقد أدخلت هذه الانتقادات إلى مجال الأخلاق والسياسة أصواتا ثانوية كانت مستبعدة سابقا (Laugier, 2010, p. 115).

لقد طوّرت جيليغان أخلاق نقدية لأخلاق الأغلبيّة، والتي سمتها أخلاق الرّعاية، في مقابل ذلك توضّح ترونتو المنظور الأخلاقي للرعاية من خلال نقد مستوحى من الماركسية للتفاوتات وهياكل السلطة، من أجل بناء نموذج تحليلي كلي، حيث ترى أنّه إذا كانت الذوات الاجتماعية تعتمد على بعضها البعض لتلبية احتياجاتها الأساسية، فإنّ معرفة من يلبّيها وكيف يلبّيها هي أسئلة أخلاقية وسياسية محورية، ومنه فهي تصف أنشطة الرّعاية بأنّها نشاط عام يشمل كلّ ما نقوم به للحفاظ على عالمنا وإدامته وإصلاحه، حتى نتمكن من العيش فيه بأفضل ما يمكن (Ibos, 2019, pp. 185-187)، لذلك تقترح ترونتو محو الجنس لصالح النوع والطبقة، من خلال ربط الاختلاف الأخلاقي بالمكانة في المجتمع (Ibos, 2019, p. 202).

غيّرت جيليغان مركز ثقل الأخلاق، مؤكّدة على أهمية الحفاظ على العلاقات ورعايتها لحياة الإنسان والمجتمع ككل، وبهذه الطريقة فالرّعاية ثورة، لأنّها تجبرنا على دمج معطيات الحياة العادية في صميم الأخلاق، والإصغاء إلى أصوات المُهيمَن عليهم، وخاصة النساء، في حين ترى ترونتو أنّ أخلاق الرّعاية غيرت الحدود الأخلاقية: الحدود الأولى هي بين الأخلاق والسياسة التي تستبعد المساواة الحقيقية من مجال العدالة، والحدود الثانية هي التي تفصل بين الحياة العامة والخاصة، لأن الرّعاية ارتبطت تقليديّا بقيم المرأة وتجربتها في المجال الخاص، مما قلّل من قيمتها، والحدود الثالثة هي التي تفصل أخلاقيا بين الأقوياء والمرؤوسين، بحيث يفرض الأوّل على الثاني معايير للدفاع عن مصالحه وتلبية احتياجاته (Ibos, 2019, p. 194).

تصوّرت جيليغان الرّعاية كأخلاق للحياة العاديّة، التي تهدف إلى الحفاظ على أشكال الحياة المهمة للأشخاص، من خلال الكشف عن التحيّزات والعيوب السياسية في الأخلاق الليبرالية، في حين وسّعت ترونتو أخلاق القرب هذه لتشمل تحليل العلاقات الاجتماعية، مؤكّدة على أنّ العلاقات والترابطات منقوشة أيضا في هياكل السلطة (Ibos, 2019, pp. 198,199).

يبدو من المنطقي من وجهة نظر جليغان ونودينغس أنّ المرأة تتمتّع بحساسية خاصة، لها الأسبقية على أيّ شكل من أشكال التفكير، وهذه الملاحظة ستكون هي أساس تصوّر السياسة من قبل النساء (Harang, 2009, p. 142)، لم تتوقّف أخلاق الرّعاية الناتجة عن المواجهة بين أخلاق الرّعاية والأخلاق الليبرالية على الانتظام حول خلافات كبرى، تمثّلت أوّلها في المقابلة بين تفسيرين متباينين لأعمال جيليغان التي تؤكّد على أنّها أخلاق نسوية، وربط القواعد الأخلاقية الخاصة بالرّعاية بفضائل أنثوية طبيعيا، في حين أنّ أبحاث نودينغس التي تحدّد أخلاق الرّعاية انطلاقا من علاقة الرّعاية والاهتمام والحرمان، والتي ستكون ثنائية الأم والطفل نموذجا لها (Ibos, 2019, pp. 201,202).

هذا ما يجعلنا ندرك أنه رغم اتفاق فلاسفة أخلاق الرّعاية، ممثّلة في كلّ من جليغان وترونتو ونودينغس وهيلد، حول المبدأ العام للرّعاية بوصفها بديلا للأخلاق التقليدية وأنها أخلاقا نسويّة، إلا أنّهنّ يختلفن في تصوّراتهنّ، وذلك تبعا لاختلاف تخصّصاتهنّ ومنطلقاتهنّ في التأسيس لأخلاق الرّعاية.

خاتمة

تسلط هذه الصورة الموجّزة لأخلاق الرّعاية الضوء على هذه الأخلاق، من حيث هي تيار فلسفي معاصر، إذ ارتبطت أخلاق الرّعاية تاريخيا بالتيار النسوي، وبعيدا عن اختزالها في أخلاق نسويّة، فإن صيرورة هذا الأنموذج الجديد قد تجاوزت حدود الدراسات النسويّة، لتسلّط الضوء على أنثروبولوجيا الأخلاق والأخلاق المعاصرة، وفي وقت لاحق طوّرت الأعمال المختلفة لفلاسفة أخلاق الرّعاية مجموعة من الأفكار حول البعد الأخلاقي للحياة الاجتماعية.

يشير مفهوم الرّعاية إلى الاهتمام بالآخر والعناية والمسؤوليّة والعطف والمساعدة المتبادلة، تؤكّد أخلاق الرّعاية على أهميّة العلاقات الاجتماعية المحيطة بالتبعيّة والضعف، حيث يمثّل الضعف جوهر هذه الأخلاق، إنّ المنطق السياقي للرّعاية يعطي كلّ أهميّته لخصوصيّات المواقف، بل وحتّى النظر إلى هذا الضعف المشترك باعتباره مصدر قلق للجميع، وهو ما يميّز أخلاق الرّعاية عن المقاربات الكلاسيكيّة للأخلاق، ففلاسفة أخلاق الرّعاية لهم رؤية عالميّة تسلّط الضوء على الضعف الإنساني وضعف الحياة المتجسّدة الفانية.

أخلاق الرّعاية نظرية أخلاقيّة معياريّة لكنها تختلف عن الأخلاق الأخرى، فهي تشكّك في المبادئ المجرّدة والكليّة، وخاصّة الآليات العقلانيّة، مثل مبدأ المنفعة والأمر القطعي الكانطي، وبذلك تكمن الرّعاية في قدرتها على جعلنا ندرك الأخلاق الملموسة، كما تجعلنا نلمس ما نفقده عندما نتجاهل تعدّدية وخصوصيّة التعبيرات الإنسانيّة، فإنّ منظور الرّعاية يمكّننا من المطالبة بمنح الاعتبار المتساوي للآخرين، في غياب الشعور الذي يجعلنا ندرك أهميّة ذلك ولقيمة كل شخص.

ومن خلال ربط الاهتمام والمسؤوليّة بالكفاءة، فإنّ فلاسفة أخلاق الرّعاية يجعلون من الرّعاية أخلاقا ملموسة تترجم إلى ممارسة، لا تأخذ معناها الكامل إلّا من خلال قدرة متلقّي الرّعاية والمستفيد على الاستجابة، ويمثّل هذا البعد من الاستقبال في الواقع ترابطنا ومكانتنا المزدوجة كمقدّم للرّعاية ومتلقّ لها، إنّ هذا الوعي بالموقف المزدوج، وهذا التّصور الجديد الذي يمكن أن يمتلكه الإنسان عن نفسه، هو ما يجب علينا تشجيعه، حتى نتمكّن من جعل هذا العالم الضعيف أكثر قابليّة للعيش، يؤكّد منظّرو الرّعاية على أهميّة العدالة والمسؤوليّة الأخلاقيّة تجاه الأشخاص الضّعفاء، فضلا عن رعاية الآخرين، وهذا ما يجعل الرّعاية فضيلة وواجبا وممارسة واستعدادا وقيمة في الوقت نفسه.

المصادر والمراجع:

الكتب

المراجع بالإنجليزية:

1- Gilligan, C. (1993). *In a Different Voice Psychological Theory and Women's Development.* USA: Harvard University Press.
2- Held, V. (2006). *The Ethics of Care: Personal, Political, and Global.* New York: Oxford University Press.
3- Inge van Nistelrooij, M. S.-S. (2022). *Care Ethics, Religion,and Spiritual Tradition.* Peeters.
4- Maurice Hamington, C. R. (2019). *Care Ethics and Poetry.* Palgrave macmillan.
5- Maurice Hamington, M. S.-S. (2011). *Applying Care Ethics to Business.* New York: Springer Science.
6- Noddings, N. (1984). *Caring A Feminine Approach To Ethics And Moral Education.* California, USA: University of California Press.
7- Slote, M. (2001). *Morals from Motives.* New York: Oxford University Press.
8- Slote, M. (2007). *The ethics of care and empathy* (éd. First). New York, USA: Routledge.
9- Tronto, J. C. (1993). *Moral boundaries: A Political Argument for an Ethic of Care.* New York: Routledge.

المراجع بالفرنسية:

1- Lazare Benaroyo, C. L.-C. (2010). *La philosophie du soin Éthique, médecine et société* (éd. 1). Paris: Presses Universitaires de France.

ويبوغرافيا:

دوريات:

بالفرنسية:

1- Damamme, A. (2020, 05 02). *Langages du care : temps, contraintes, responsabilités*. Consulté le 01 24, 2025, sur OpenEdition Journals: ***http://journals.openedition.org/***
2- Harang, L. (2009). Care et politique : la voix des femmes. *Le Philosophoire*(32), ***https://www.cairn.info/***
3- Ibos, C. (2019, juillet 01). Éthiques et politiques du care. Cartographie d'une catégorie critique. (Belin, Éd.) *Clio. Femmes, Genre, Histoire*(49), ***http://journals.openedition.org/***
4- Laugier, S. (2010). L'éthique du care en trois subversions. *Multitudes*(42), ***https://www.cairn.info/***
5- Paperman, P. (2010). Éthique du care un changement de regard sur la vulnérabilité. *Gérontologie et société, 33*(133). ***https://www.cairn.info/***
6- Tronto, J. C. (2008). Du care. *Revue du MAUSS*(32). ***https://www.cairn.info/***
7- Zielinski, A. (2010, décembre). L'éthique du care Une nouvelle façon de prendre soin. *Études*(413). ***https://www.cairn.info/***